بين يدي الكتاب

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب مصر العثمانية، وهو مخطوط كتب عام ١٩١١م ولم ير النور كتابا إلا على يدينا عندما قمنا بتحقيقه ونشره في دار الهلال، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٥١٧ -- رجب - يناير - ١٩٩٤.

وفي النشر الأول لهذا المخطوط، وقعت من المطبعة أخطاء كثيرة وواضحة، تداركناها في هذه الطبعة ، ورأينا هنا ، كما رأينا في الطبعة الأولى الاستغناء عن الصور التي وضعها المؤلف في مخطوطه لأنه صورها من كتب مطبوعة له هي تاريخ التمدن الإسلامي وتاريخ مصر الحديث، وهو في المخطوط لا تكاد تبين.

والجديد في هذه الطبعة:

١-كتابة مقدمة علمية، وبمراجعها وحواشيها عن المؤلف ومنهجه، وعن المتن.

٢-تنقيح المتن وتصليح كل الأخطاء المطبعية التي حدثت في الطبعة الأولى.

٣-كتابة حواشي علمية على المتن أسهمت في فهم النص، وقدمت هذه الحواشي نقدا ، وتصحيحا لمسائل تاريخية، وإيراد التواريخ الميلادية لأن المؤلف لم يستخدم في المتن غير التاريخ الهجري. ومقارنات بين ما كتبه المؤلف وما كتبه المؤرخون الآخرون في مسائل معينة، كما قدمت الحواشي إيضاحات لمسائل كانت مغلقة في المتن.

وقصة هذا الكتاب " مصر العثمانية " أنه بعد إنشاء الجامعة التي نادت الهلال بقيامها في عدد فبراير ١٨٩٩، عُرض على جرجي زيدان تدريس مادة التاريخ الإسلامي فيها، فأعد كتاب مصر العثمانية لهذا الغرض. لكن هذا الأمر لم يتم. وفي المقدمة تفصيل ذلك.

الغريب أن عهدت جامعة عين شمس للحاخام اليهودي الأكبر حاييم نعوم أن يدرس لنا أثناء تلمذتنا في كلية الآداب جامعة عين شمس قسم اللغات الشرقية، مادة "تاريخ العثمانيين" عام ١٩٦٠م، ولم يتم هذا الأمر لمرض الحاخام. هكذا حدثنا الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، رئيس القسم، عليه رحمة الله.

محمد حرب

***

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مصر العثمانية

او

تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية

من الفتح العثماني سنة ٩٢٣ هـ او ١٥١٧ م

الى حملة الفرنسيس سنة ١٢١٣ هـ او ١٧٩٨ م

مطلوب رقم ٥٠٥
سد ابراهيم
٨٤٦

الفه

جرجي زيدان

منشئ الهلال

لدور حسن الشايع المسلمين

في ابي قمة الهرية

سنة ١٩١١

[illegible] كل ما كان سبب في رفع الحصار واكتفى بعبارة اخص مدلولة فقيل . وتعالى الصدور وهم مختلفون بملأ ان الحرب او مسلم فكانت حال الدولة تختلف اختلاف ذلك فالبس هذا محل تسليم عليه

وفي سنة هذا السلطان دخلت المطابعة المحكمة العثمانية وتأسست دار المطابعة في استانبول بتشوق من شيخ الاسلام فتعجب ان يطبع القرآن بحروف المطابعة خوفا من وقوع التحريف فيه . وتوفي في سنة ١٠٠٠ هـ من [illegible] الثاني

قاسم بك ذو الفقار بك

[illegible] اما سعد الفقار المتقدم ذكره الى الامراء الى بك كان تقدم وكان من [illegible] هذا السلطان مراد بن كبير [illegible] بعرفان باسم قيك الفاسمية نسبة الى قاسم بك والفقارية الى ذي الفقار بك . وكان هذان الحزبان لا ينفكان عن الخلاف يحاول كل منهما اكتساب السلطان بدون تأخر . واصل حدوث الحزبين فيه اقوال منها انها نشأت بسبب اختلاف بين قاسم بك ذو الفقار بك والي سوادون احد امراء الى بك في عهد السلطان سليم الفاتح وان السلطان سليما هو الذي شجع

مقدمة

جرجي زيدان: سيرة ثقافية :

جرجي حبيب زيدان، عربي من لبنان وأقام بمصر ، مسيحي أرثوذكسي، من رواد حركة التنوير العربية، المعتمدة على اللحاق بالنهضة الأوربية. ولد في بيروت يوم ١٨٦١/١١/٢٤. جمع جرجي زيدان في شخصه عدة جبهات هدفت كلها إلى تحقيق اشتراكه في حركة التنوير، فهو صحفي وكاتب وروائي ورحالة ومفكر ومبدع.

تتلمذ في بداية حياته على يد القسيس المعلم إلياس الذي لم يكن يحسن القراءة في الإنجيل . لكنه كان يدير مدرسة أشبه بكتاتيب القرن التاسع عشر الميلادي. وهذه المدرسة عبارة عن قبو واسع، وكانت طريقة القس إلياس تعتمد في تعليم جرجي وزملائه، على تسميع المزامير. كما كانت تعتمد على طرق العقاب الشائعة في نشئ ذلك العهد: الفلقة، وكانت عقابا لمن يستوجب العقاب من التلاميذ.

هذه مدرسة جرجي زيدان الأولى، ومنها صار يقرأ المزامير جيدا، لكنه لم يكن يفهم ما يقرأه. وقد أثرت هذه المدرسة الدينية الأولى على توجهات جرجي مستقبلا حين تمكن من الميدان الثقافي العربي العام، فصار يكتب ما يفهمه القارئ العادي والمتوسط والمثقف. يبسط التاريخ واللغة والفن بشكل يقبله الأخرون، ويسرى فيهم في هدوء، لفظا ومعنى وأسلوبا، وكأنه يكتب لكي يفهم الجميع[١].

قام حبيب زيدان والد جرجي، بنقله بعد ذلك إلى مدرسة الشوام، وهي مدرسة مسيحية أيضا. كان يديرها بعض الشوام المسيحيين المثقفين.وتعلم جرجي في هذه المدرسة مبادئ الحساب والنحو[٢].

انتقل جرجي بعد ذلك إلى مدرسة المعلم ظاهر، ودرس فيها جرجي سنتين، بلغ بعدهما أحد عشر عاما.

أتم جرجي في هاتين المدرستين : الشوام والمعلم ظاهر، ست سنوات من عام ١٨٦٦م إلى سنة ١٨٧٢م. ثم بدأ يعمل مع والده في مطعمه. والتحق جرجي وهو يعمل مع والده في هذا المطعم، بدراسة مسائية لتعلم اللغة الإنجليزية. وكان

والده يخشى عليه من التعليم خوفا- في رأيه-من أن التعليم يمكن أن يجعل ابنه جرجي " متفرنجا يأكل بالشوكة والسكين، وربما حدثته نفسه أن يلبس الزي الأوربي".[٣].

تمكن جرجي زيدان من تعلم اللغة الإنجليزية في مدرسة المعلم مسعود الطويل. وكان جرجي في الخامسة عشر من عمره. وتقول الكتب التي تتحدث عن سيرة جرجي أنه تمكن من اللغة الإنجليزية في خمسة أشهر، استطاع بعدها أن يشتغل بوضع قاموس إنجليزي – عربي ، بلغ فيه حتى حرف " E " من الحروف الهجائية الإنجليزية. وفي هذا دلالة على استعداده لغزارة الإنتاج التي عرف بها بعد أن مارس الكتابة، وإجابة قد تكون ردا على المتسائلين عن تعدد جوانبه الثقافية التي عرفه بها عالم الثقافة فيما بعد[٤].

في عام ١٨٨١م، التحق جرجي زيدان بالمدرسة الكلية وهي المدرسة الأمريكية البروتستانتية. لكنه طُرد منها لاشتراكه في مظاهرة طلابية. لكنه استفاد من المواد الدراسية في هذه الكلية من العلوم الطبية فقد حصل على دبلوم الصيدلة[٥].

سافر جرجي زيدان، بعد ذلك إلى القاهرة عام ١٨٨٣ ليلتحق بمدرسة طب القصر العيني لكنه اضطر لظروفه المادية الصعبة من ناحية، ولأن دراسة الطب بها كانت تحتاج إلى سنوات طويلة. واهتم جرجي بعد ذلك مباشرة بالأدب والتاريخ واللغة العربية، فالتحق عام ١٨٨٤م بجريدة " الزمان" القاهرية. وكان من أسباب تركه بيروت وسفره إلى مصر، حنقه على الأتراك وعلى الدولة العثمانية.[٦].

وكان وصول جرجي إلى الإسكندرية عقب تدمير الإنجليز لمصر أي عقب الاحتلال البريطاني للقطر المصري عام ١٨٨٢م.

وكان لهذا أثره الثقافي والفكري فيه. لكن أثناء عمل جرجي في جريدة الزمان، قرر الإنجليز إرسال حملة إلى السودان لإنقاذ كوردون باشا الإنجليزي من الحركة القومية السودانية وثورة المهدي وأتباعه الذين وصفهم جرجي زيدان بالعصاة والأعداء!! [٧].

وكان رئيس هذه الحملة هو اللورد ولسلي، وكان تعدادها سبعة آلاف جندي أكثر قوادها من طبقة الأشراف والنبلاء الإنجليز.وقد اختير جرجي زيدان مرافقا لهذه الحملة ضمن جهاز المخابرات البريطانية. وكان ذلك عام ١٨٨٤م.

ولما عادت الحملة البريطانية من السودان بعد عشرة أشهر من سفرها. عاد معها جرجي فكافأته سلطات الاحتلال الإنجليزي بمصر بمنحه الميدالية الإنجليزية وميداليتين أخريين[٨].

عاد جرجي زيدان بعد ذلك إلى موطنه عام ١٨٨٥، ولم يستطع المؤرخون لجرجي زيدان معرفة أهداف جرجي من هذه الرحلة[٩].

في عام ١٨٨٥م اختير جرجي زيدان عضوا بالمجمع العلمي الشرقي. ولم يكن قد مضى على إنشائه حينها ثلاث سنوات، والذي أنشأه أعلام عرب كبار مثل الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر والمستشرق فانديك، ومن أعضائه أيضا الشيخ إبراهيم اليازجي وإبراهيم الحوراني وسليم بطرس البستاني. وقد تعلم جرجي لكي يتزود لعضوية المجمع بتعلم بعض اللغات الشرقية: العبرية والسريانية بالدرجة الأولى، وبالتالي أصبح جرجي يجيد اللغات الأساس: من اللغات الشرقية العربية والعبرية ومن اللغات الأوربية الإنجليزية والفرنسية[١٠].

نشر جرجي زيدان أول كتاب له ، وهو كتاب الألفاظ العربية والفلسفية اللغوية(بيروت ١٨٨٦م) وفي صيف إصدار هذا الكتاب سافر إلى انجلترا وفرنسا وسويسرا، وكان في الخامسة والعشرين من عمره. وفي عام ١٩٠٨، سافر إلى استانبول بعد أن استقرت أحوال الدولة العثمانية عقب الانقلاب العثماني، وهو انقلاب ضباط الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ الذي أطاحوا فيه بحكم السلطان عبد الحميد وأعلنوا فيه الدستور. وزار أيضا عام ١٩١٠سوريا ولبنان وتمخض عن هذه الزيارة، مقال في السنة التاسعة عشرة من مجلة الهلال ينصح فيها جماعة المتشائمين العرب بعدم إساءة الظن بالحكومة الدستورية الجديدة أي حكومة الضباط الأحرار الانقلابيين (الاتحاديين) في استانبول، ونصح العرب بأن يصبروا على وعود هذه الحكومة بالإصلاح حتى تتمكن من تحقيق ما وعدت به[١١].

أما في عام ١٩١٢فقد شد جرجي الرحال إلى أوربا في زيارة طويلة نتج عنها كتاب نشرته دار الهلال بعنوان" رحلة جرجي زيدان إلى أوربا عام ١٩١٢" من منشورات دار الهلال عام ١٩٢٣، وكان هذا النشر بعد تسع سنوات من وفاة صاحب الهلال. وكنت رحلته التنويرية هذه تستهدف نقل: " ما يهم القارئ الشرقي من حيث

حاجته إلى تحذي مدنية أولئك القوم في نهضته هذه وبين ما يحسن أو يقبح من عوامل تلك المدنية بالنظر إلى طبائعنا وعاداتنا وأخلاقنا[١٢].

لقد تشكل فقه التنوير في مفهوم جرجي زيدان في البدء، من كل من:

١- ما حصله جرجي من البعثات الدينية التنصيرية خاصة الأمريكية في بيروت ، من ثقافة غربية ومنهج غربي في طرق التفكير.

٢- ما استفاد منه جرجي في زياراته لأوروبا، خاصة أنه وجد الفرصة هناك لدراسة الاستشراق الأوربي في انجلترا بالذات.

٣- دراسته للشرق: تاريخا ومجتمعا، ثقافة وتفكيرا.

عمل جرجي بعد عودته من أوربا المرة الأولى وبالتحديد أوائل عام ١٨٨٨م في جريدة المقتطف، وبعدها عمل سنتين مديرا للمدرسة العبيدية، وهي مدرسة خاصة بطائفة الروم الأرثوذكس، لكنه بدأ في عام ١٨٩٢م في إصدار مجلة الهلال، والتي نشر فيها مقالاته وظل يعمل بها حتى نهاية حياته.

كان للسلطان عبد الحميد الثاني ، موقفه الواضح من جرجي زيدان ، بسبب فكرة التنوير الغربي من ناحية، وبسبب تأييده للحركات المناهضة للسلطان عبد الحميد ومنها تأييده لجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي. لذلك كان جرجي زيدان ممنوعا من دخول الأراضي العثمانية. لكن عندما نجحت حركة تركيا الفتاة في الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد، وتولت حكومة الاتحاد والترقي الحكم، استطاع جرجي دخول استانبول وأن يلتقي هناك مع الثوار الأحرار الذين قادوا الانقلاب. وكتب عن هذه الرحلة الهامة كتابات لها أهميتها التاريخية والفكرية والتربوية والتنويرية.

كما كتب جرجي زيدان مقالات في الهلال على مدار اثنين وعشرين عاما. وله مقالات كثيرة جدا. وما يقرب من أربعين كتابا.

وقد كتب جرجي زيدان في الميادين التالية:

١- التاريخ.

٢- اللغة والأدب.

٣- الاجتماع.

٤- الروايات التاريخية.

جرجي زيدان والغرب

برز جرجي زيدان كأول مؤلف عربي لموضوعين لم يكتب فيهما بالعربية أحد من قبله وهما:

١- كتاب الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، علم ١٨٨٦م.

٢- كتاب تاريخ الماسونية العام، علم ١٨٨٩م.

وارتبط جرجي زيدان بالفكر الغربي عن الطرق الآتية:

١- الكلية الأمريكية في بيروت.

٢- زياراته للمستشرقين في أوربا عبر رحلاته إليها.

٣- زيارات المستشرقين له في القاهرة.

٤- صحبته لمجموعة المخابرات البريطانية أثناء حملة إنقاذ كوردون باشا في السودان.

٥- معرفته باللغات الأوربية وإطلاعه بها.

وبالتالي عرف جرجي زيدان مناهج المؤلفين والباحثين الأوربيين. ومن هنا أيضا جاء حرص جرجي زيدان على سهولة الأسلوب وذكر المراجع والمصادر، حتى في رواياته.

أفاد جرجي زيدان أيضا من كثرة تناوله للمصادر الغربية التي كتبها الغربيون، فقد أفاد منهم العقلية التنظيمية في التأليف وتسلسل الموضوعات، والترتيب الدقيق، وجمع الأشباه والنظائر والوصول منها إلى استنتاج عام. و" يتجلى كل ذلك بوضوح في كتابيه" تاريخ التمدن الإسلامي" و" تاريخ آداب اللغة العربية". ويلاحظ هذا التنظيم من مجرد إلقاء نظرة على أبواب كتاب تاريخ التمدن الإسلامي، ففي بحثه عن الجند الإسلامي تأتي هذه المسائل متعاقبة في فصول متوالية من الكتاب: الجند وتوابعه، جند الروم، جند العرب، تنظيم جند العرب، جند الأعاجم في الإسلام، ديوان الجند، أعطيات الجند، عدد الجنود، اللواء والراية.

قلد جرجي زيدان الكتابات الغربية في تأريخه للأدب العربي، وفي طريقة التأليف عن حضارة العرب والإسلام. كما كان إطلاع جرجي على الكتابات التاريخية باللغات الأوربية أيضا أثره في موقفه من التاريخ العثماني.

ولدراسة التأثير الغربي على جرجي زيدان، ينبغي دراسة جوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب، الذي ألّفه عام ١٨٨٤ والمؤرخ سيديو، وفون كريمر، وجولد تسيهر. وينبغي أن يدقق الباحث العربي في موقف هؤلاء بالذات من العرب ومن المسلمين والإسلام.

رؤية محرم چلبي لجرجي زيدان

هذه رؤية تركية لأكاديمي تركي هو البروفسيور محرم چلبي. أمامنا رؤية غربيين وعرب لجرجي زيدان، لكننا- كما أتصور- في حاجة إلى رؤية تركية هي:

(جرجي زيدان أحد أعمدة التيار الجديد في كتابة الأدبيات العربية. إنه صحفي بارز لكنه قدم دراسات في التاريخ واللغات السامية والدراسات اللغوية المقارنة. وكان ينهج في كل كتاباته، النهج الغربي. تأثير المستشرقين على جرجي زيدان واضح، خاصة في وجهة نظرهم المعارضة للإسلام. أنه رائد عربي في مجال الثقافة. ورد في طريقه مورد الثقافة الأوربية. ونهل منها مستفيدا في ذلك من مدارس الإرساليات الأجنبية. وهذه المدارس عبارة عن مراكز أعدت خصيصا لمن أتجه وفي اتجاهه نحو ثقافة الغرب، ونعنى بالذات الجامعة الأمريكية البروتستانتية في بيروت والتي كانت تسمى وقتها بالمدرسة الأمريكية " أمريكان كوليج".

لقد كان هدف جرجي زيدان أن يطرح الثقافة الغربية أمام أبناء جنسه من العرب في سبيل ضمان قيام نهضة ثقافية في البلاد العربية ديدنها النهج الغربي.

ولقد قدم جرجي زيدان دراسات عن تاريخ الإسلام وتاريخ العرب، لكنه لم يقدمها ككاتب عربي عادي. وإنما مستفيدا من مناهج المستشرقين. وكان زيدان ناقدا للكتابات في تاريخ الإسلام لأنها - في رأيه- كانت تكتفي بنقل الأحداث فقط، ولم تبحث هذه الكتابات وأصحابها في الأسباب التي ترقد تحت الأحداث لتسيرها.

وباتصال جرجي زيدان بالمنهج الغربي في المعرفة، أصبح يرى أن التاريخ الحقيقي لأمة من الأمم ليس هو تاريخ الحروب والفتوحات، وإنما تاريخ الثقافة والمدنية والحضارة. لقد حرص زيدان أن تفقد الكتب التاريخية التقليدية اعتبارها في نظر المثقفين العرب والمسلمين، لذلك كان حريصا وهو يقدم التاريخ الإسلامي بالدراسة أن ينحي بالدين إلى المرتبة الثانية من الأهمية، عاملا في نفس الوقت على

إعلاء شأن العلم والحضارة ويضعهما في المقام الأول في منهج التناول. لذلك أظهر زيدان اهتماما بالإسرائيليات التي رفضها المؤرخون المسلمون، ورأي أنها إنما تكمل حلقة المصادر التي بين أيدينا. ولذلك يبدو لنا أن جرجي زيدان يخطئ في تقويمه لتاريخ الإسلام. ويرجع هذا - في رأينا- إلى عدم دقته التي تسود الكثير من كتاباته، ونرى أن لعدم اهتمامه بعنصر الدين تأثيره في هذا. ولقد بذل جرجي زيدان جهدا واضحا في محاولته نقل منهجه في التاريخ إلى الشعوب العربية، عن طريق إصدارات مجموعة الروايات التاريخية التي تناولت تاريخ الإسلام. وهذا ما نراه أيضا في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي الذي لم يرجع فيه نجاح العرب في ميادين الثقافة والعلوم إلى التاريخ الديني بل إلى تاريخ التساند الاجتماعي الديني. وهو دائب البحث في تأثير الثقافة اليهودية والثقافة المسيحية، في أساس الإسلام.

دافع زيدان -كمسيحي- عن ضرورة أن يكون العلم عنصرا مؤثرا في فلسفة التاريخ وفي المجتمعات المدنية، وأعطى أهمية للتاريخ المشترك واللغة - وليس للدين- في إثبات هوية الشعور القومي بين العرب.

ويرى زيدان أن اللغة العربية هي السند الأعظم للشخصية العربية، وأن العرب قد أوصلوا لغتهم العربية إلى كل الأماكن التي فتحوها. ويقول جرجي زيدان بقومية عربية مركزها سوريا ومصر. ويقول أن ليس هناك حدود طبيعية بين مصر وسوريا، وهما مركز الحضارة وأن كلا منهما يكوّن مع الأخرى، منطقة واحدة منذ ما قبل الإسلام. ونظرة جرجي زيدان إلى القرآن أن أهميته بسبب دوره في حماية اللغة العربية. ولما كان هدف زيدان هو الوصول إلى الحضارة الغربية، فقد حرص على عدم إحداث ضرر بالشخصية العربية لأنها- في رأيه- المعبر إلى هذه الحضارة.

على ذلك أرسى جرجي زيدان أساس قومية عربية لا تعتمد على الدين، لكنه لم يستطع أن يحيل هذا إلى برنامج.

لقد أيد جرجي زيدان حركة المشروطية العثمانية، ودافع عن الاتحاد والترقي، وكان مؤيدا للحاكمية العثمانية، وازداد تأييده هذا بعد (انقلاب الاتحاد والترقي) عام ١٩٠٨م. جرجي زيدان كان قلقا من إمكان زيادة النفوذ الأوربي إذا انهارت الدولة العثمانية. لذلك كان يرى أن المشروطية التي أعلنها الجيش عام

١٩٠٨، يمكن أن تقف حائلا أمام آمال الغربيين السياسية. كما كان زيدان ضد طلب العرب للمزيد من الحقوق السياسية في الدولة العثمانية. ونفى جرجي زيدان عن العثمانيين تهمة التتريك وأيد أن العرب يحيون ثقافتهم- وهم في العهد العثماني - في حرية تامة[١٣].

جرجي زيدان في اللغات الشرقية:

اهتم الشرقيون بجرجي زيدان وعلى الأخص الأتراك والإيرانيون. لقد ظهرت ترجمة تاريخ التمدن الإسلامي باللغة التركية العثمانية بعنوان" مدنيت إسلاميه تاريخي" في استانبول. في خمسة أجزاء بين عامي ١٨٢٧- ١٣٣٠. قام بها زكي مغامز. كما تتضح صورة جرجي زيدان في اهتمام الأتراك المحدثين به، ذلك التقدير البيّن الذي ذكره الكاتب المؤرخ التركي المعلم جودت[١٤] وكذلك سليمان ضاغ في مقدمته لكتاب ISLAM TARIHI لمحمود أسعد الصادر في استانبول عام ١٩٨١م.

إلا أنه من الجدير بالاهتمام ذلك الاهتمام الواضح الذي قابل به الشرقيون روايات جرجي زيدان التاريخية: الإيرانيون والاتراك الآذريون، والأتراك من العثمانيين، والأتراك في تركيا الجمهورية. ومن الثبت التالي يتضح مدى هذا الاهتمام. والذي أورده محرم چلبي في مقاله جرجي زيدان بدائرة معارف الإسلامية -وقف الديانة التركية.

١- فتاة غسان : ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميراز بن مؤيد الدولة في جزئين بعنوان" خاتم شامي" طهران، ١٣٣٠.

٢- فتاة غسان، ترجمها إلى التركية الحديثة كل من أحمد بويوك جينار وكريم آي تكين، استانبول، عام ١٩٧٢ بعنوان GASSANLI HINT .

٣- أرامانوسه المصرية، ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميرزا، أيضا، بعنوان ارمانوس مصري، طهران، ١٣٢٢.

٤- ارمانوسة المصرية، ترجمها إلى الفارسية جعفر قازيان بعنوان ارمانوسة مصرية، طهران، بدون تاريخ.

٥- عذراء قريش، ترجمها إلىاللغة التركية الآذرية مير محمد كريم الحاج مير جعفر زاده، باكو، آذربيجان، ١٣٢٥/١٩٠٨.

٦- عذراء قريش، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران ، ١٣٣٧.

٧- ١٧ رمضان، ترجمها إلى اللغة التركية الآذرية مير محمد كريم، باكو، آذربيجان، ١٣٢٨/١٩١٠.

٨- غادة كربلاء، ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميرزا بعنوان عروس كربلاء، طهران، بدون تاريخ.

٩- الحجاج بن يوسف، ترجمت إلى الفارسية بنفس الاسم، طهران ، بدون تاريخ.

١٠- فتح الأندلس ، ترجمها إلى الفارسية إبراهيم نشأت بعنوان فتح أندلس، طهران ١٣٢٣.

١١- شارل وعبد الرحمن، ترجمها إلى الفارسية بنفس العنوان عبد الرحيم خلخالي، طهران، ١٣٣٣.

١٢- شارل وعبد الرحمن، ترجمها إلى الفارسية أيضا وبنفس العنوان محمد علي شيرازي، طهران ١٣٣٨.

١٣- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى اللغة التركية العثمانية زكي مغامز بعنوان أبو مسلم خراساني، استانبول ١٣٣ روميه.

١٤- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية حبيب الله آموزكار، طهران ١٣١٨.

١٥- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية أيضاركن الدين همايون فروح، طهران١٣٢٣.

١٦- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية ميرزا بن مؤيد الدولة، طهران ١٣٣٣-١٣٣٤.

١٧- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية محمد علي شيرازي، طهران ١٣٣٩.

١٨- العباسة، ترجمها إلى التركية العثمانية حسن بدر الدين، استانبول ١٣٣٩ رومية ١٣٤٢هـ.

١٩- العباسة، ترجمها إلى الفارسية / ميرزا إبراهيم قمي، طهران، بدون تاريخ.

٢٠- العباسة، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٣٣٢.

٢١- العباسة، ترجمها إلى الفارسية، محمد تقي شريعتي مزيناني، مشهد ١٣٣٤.

٢٢- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية بنفس العنوان عبد الحميد اشناق خاوري، طهران ١٣١٠.

٢٣- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، بدون تاريخ.

٢٤- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية على أصغر حكمت، طهران ، بدون تاريخ.

٢٥- عروس فرغانة، ترجمها إلى التركية العثمانية بعنوان" جهان خاتون فرغانه كوزلي، استانبول ١٩٢٧.

٢٦- عروس فرغانة، ترجمها إلى الفارسية أمير قولى أمينى، أصفهان ١٣٣٤.

٢٧- عروس فرغانة، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٩٥٤م.

٢٨- أحمد بن طولون، ترجمها إلى الفارسية مير سيد جعفر، طهران، ١٣٢٨-١٣٣٩.

٢٩- أحمد بن طولون، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٣٤٤.

٣٠- عبد الرحمن الناصر، ترجمها إلى الفارسية أمير قولى أميني، أصفهان ١٣١١.

٣١- الانقلاب العثماني، ترجمها إلى التركية الآذرية، على عباس بعنوان عثمانلي انقلابي، باكو، ١٣٣٢.

٣٢- الانقلاب العثماني، ترجمها إلى الفارسية على أكبر قوم، استانبول ١٣٢٩.

٣٣- الانقلاب العثماني، ترجمها إلى الفارسية ، محمد على شيرازي، طهران، ١٣٣٦-١٣٤٣.

٣٤- صلاح الدين ومكائد الحشاشين،ترجمها إلى التركية العثمانية، زكي مغامز، بعنوان صلاح الدين أيوبي واسماعيليلر، استانبول ١٩٢٧.

٣٥- صلاح الدين ومكائد الحشاشين، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي بعنوان صلاح الدين أيوبي واسماعيليان، طهران، ١٣٣٤.

٣٦- صلاح الدين ومكائد الحشاشين، ترجمها إلى الفارسية، مجبتبي مينووي، بعنوان، صلاح الدين أيوبي واسماعيليان، طهران ١٣٠٤.

٣٧- شجرة الدر، ترجمها إلى الفارسية حبيب الله آموزكار بعنوان"مليكه اسلام"، طهران ١٢٩٨.

٣٨- أسير المهتدي، ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.

٣٩- جهاد المحبين، ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.

٤٠- استبداد المماليك،ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.

جرجي زيدان وتاريخ مصر الحديث

حاول جرجي زيدان أن يجعل لنفسه منهجا تاريخيا يتفرد بـه بيـن كتـاب التاريخ في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد شرح هذا المنهج فـي مقدمة كتاب" تاريخ مصر الحديث" عام ١٣٠٦هـ-١٨٨٩م.

إن أسباب تأليف هذا التاريخ من وجهة نظر زيدان عديدة، ولعل أهمـها أن مصر من أقدم الممالك تمدنا وأكثرها حوادث وطوارئ ومحنا؛ فهي الأجدر بتدويـن تاريخها ليكون عبرة للذين يعتبرون، كما أن تاريخها بعد الفتح الإسلامي أكثر ارتباطا بحالتها الحاضرة من تاريخها قبله، مما يجعله أكثر فائدة وأحوج إلى التدوين[١٥].

ويقرر زيدان بلهجة الأسف أنه لم ير بين المؤرخين الذين كتبوا في تـاريخ مصر الحديث، من جاء على كتابة مستوفية تتعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مـع علاقة كل بذلك بعموم الدولة الإسلامية وسائر الدول المعـاصرة. ويشـرح طريقـة التأريخ لدى المؤرخين الآخرين قبله بقوله: " فبين مؤرخي المشرق ولاسيما العـرب من أسهب في الكلام عن بعض أقسام مصر واعتنى بتاريخها على انفراد. ومنهم مـن انفرد بتاريخ بعض دول مصر دون البعض الآخر. ومنهم من اقتصر علـى تراجـم بعض مشاهير حكام مصر أو علمائها أو أدبائها. ومنهم من وصف بعـض وقائعـها وحروبها بقطع النظر عن تعاقب السنين. ومنهم من نظر إلى تناسق الحـوادث مـع نسبتها لتعاقب السنين لكنه أوجز كثيرا فلم يأت بالفائدة المطلوبة. ومنهم من جاء على تاريخ مصر عرضا أثناء تكلمه عن تاريخ الدولة الإسلامية عموما. فكان قوله متفرقا متخللا فضلا عن كونه موجزا.."[١٦].

وكتابات الإفرنج عن مصر في رأي زيدان هي الأقرب إلى المقصود مـن قبيل تناسق الحوادث وتعاقبها بتعاقب السنين مع الإسهاب، غير أن الترجمـات مـن العربية إلى لغاتهم تفقد بلاغتها ورونقها العربي، فإذا أريد ترجمتها إلـى العربيـة لا يتفق أن تأتي على أصلها تماما.

ولهذا، يقرر زيدان أنه رأي أن يجمع في منهجه بين حسنات الطرفين : "فجمعت بينها ملتزما صحة النقل وانتقاء أصح الروايات وتطبيق كل ذلك على الأحكام التاريخية مع مراعاة الممكنات وإغفال ما هو مقول بغير قياس ومناقض لأحكام العقل بين مبالغات واختلافات وتقاليد"(١٧).

وطبقا لمقدمته، يذكر أنه لم يكتف في التاريخ بالسمع والقراءة والكتب والنقل عنها، ولكنه اتخذ منهج" المعاينة"، وبخاصة حين يتحدث عن الآثار المصرية والآثار العربية. كما أنه زود كتابه بالرسوم والخرائط وصور المسكوكات والجداول وفهرس أبجدي، وذلك لكي يربط التاريخ المصري القديم بالتاريخ الحديث، فجاء كتابه في مجلدين، كان نصيب " مصر العثمانية" فيه ٨٣ صفحة.

نحن إذن أمام كاتب يقدم لنا تفاصيل منهجه في كتابة التاريخ(١٨)، مقررا أنه عنى في ضبط هذا التاريخ وربط حوادثه جهد الطاقة مغفلا كثيرا من الروايات التي ترجح له فسادها بعد النظر والتروي متحاشيا الألفاظ المستهجنة والتعبيرات المعقدة. وفيما بعد يشرح منهجه في مقدمة كتاب" تاريخ التمدن الإسلامي"، فيذكر أنه ينظر في كل ذلك " نظر الناقد فلم نذكر حادثة إلا أسندناها إلى عللها وأسبابها وبينا ما نتج عنها وذكرنا علاقتها بما بعدها"(١٩).

ويبدو أن هذا الشرح النظري لمنهجه التاريخي، هو الذي جعل البعض يضعه كأول مؤرخ أدخل المنهج الغربي في كتابة التاريخ(٢٠).

وقبل الفحص النقدي لمنهج زيدان؛ وتطبيقه على " تاريخ مصر الحديث" ومخطوط " مصر العثمانية "، فإن الإشارة إلى مناهج كتابة التاريخ في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ذات أهمية كبيرة في تحديد مكانة جرجي زيدان التاريخية.

كان القرن التاسع عشر فترة تحول للتأريخ المصري، فقد كان الجبرتي (١٧٥٤-١٨٢٥م) يقف على مفرق الطرق؛ إذ كان متأثرا كل التأثر بالتأليف التاريخي والإسلامي، ومن جهة أخرى كان منفعلا بالأحداث الخطيرة التي شهدها أثناء الحملة الفرنسية، والتيارات الجديدة الجارية في عصره. وإذا كان الجبرتي قد اختار لتاريخه طريقة الحوليات- وهي التأريخ للسنين سنة بعد أخرى والترجمة للأعلام الذين توفوا فيها- فإن كتابه " عجائب الآثار في التراجم والأخبار" يعد أعظم

تواريخ مصر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، فهو سجل حافل بألوان الحياة التي كان يحياها المجتمع المصرى في هذين القرنين[٢١]. وأهم من ذلك، فإن العقلية التحليلية الاستجوابية فيه قوية، لدرجة تجعله في مرتبة منفصلة عن الأعمال المبكرة[٢٢].

لقد شهدت مصر في عهد محمد على (١٨٠٥-١٨٤٨) حركة تعليمية على النمط الغربي، وأرسلت بعثات إلى أوربا لتلقي العلوم الحديثة، وبدأت حركة الترجمة من الغرب مع إنشاء مطبعة بولاق، وكان من بين ما ترجم عدد كبير من كتب التاريخ الأوربية. وكانت الشخصية الأكثر بروزا في تلك المرحلة - وحتى عصر إسماعيل- هو رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م)، الذي أتيح له أن يحتك بالغرب عندما ذهب إماما مع البعثة التي أرسلها محمد على إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦م، ليعود بعد ذلك ليتولى مهاما كبيرة في التعليم والإدارة والترجمة حتى عصر إسماعيل، وليكون كتابه" تخليص الإبريز في تلخيص باريز" هو الأشهر من بين كل كتبه ومترجماته؛ إذ أنه يضم ثروة في التفاصيل وعمقا في التعليق، فقد فحص رفاعة كل مظاهر الحياة الفرنسية: السياسة، وضع المرأة، عادات الأكل، الأثاث، العلوم..، وهو كالجبرتي لا يتردد في التعليق شخصيا على ما يصادفه. لم يكن رفاعة مؤرخا يطاول الجبرتي، ولكنه لم يكن يقل عنه في الملاحظة[٢٣].

ورفاعة هو أول مؤرخ مصري يكتب تاريخ مصر القديم في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في عصره، فقد كانت لحركة الكشوف الأثرية أثرها في تأريخه، فعندما أراد أن يؤلف كتابا عن تاريخ مصر، لم يبدأ بالفتح العربي أو ظهور الإسلام أو ببدء الخليقة، كما كان يفعل سابقوه من المؤرخين بل بدأ بتاريخ مصر القديم، وخصص الجزء الأول لعصور الفراعنة والبطالمة والرومان والبيزنطيين، ووقف عند الفتح العربي، وسماه " أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل" عام ١٢٨٥هـ. ورغم ما في العنوان من سجع، فإن هذا الجزء كان بداية لمرحلة جديدة من مراحل فهم التاريخ المصري وكان رفاعة هو أول مؤرخ مصري يكتب تاريخ مصر القديم في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في عصره. ويختلف رفاعة في فهمه للتاريخ المصري عمن سبقه من المؤرخين المصريين اختلافا واضحا؛ وذلك

لأن معظم هؤلاء المؤرخين كانوا يفهمون هذا التاريخ فهما مجزءا، فيكتبون عن تاريخ كل خليفة أو ملك على حدة ويؤرخون لكل سنة على حدة، لذلك آثروا طريقة الحوليات في الكتابة التاريخية، أما رفاعة فقد فهم التاريخ المصري فهما جديدا، ونظر إليه نظرة شاملة(٢٤).

وعلى هذا، فإن ما ذكره زيدان من أنه لم ير بين المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ مصر الحديث من جاء على كتابة مستوفية تتعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة كل ذلك بعموم الدولة الإسلامية وسائر الدول المعاصرة، فيه الكثير من المبالغة؛ فقد تناول رفاعة في كتابه عصور الفراعنة والبطالمة والرومان ثم العصر البيزنطي، وختم هذا الجزء بالفتح العربي لمصر، وجعل الفصل الأخير خاصا بالكلام عن العرب قبل الإسلام وعاداتهم ولغتهم وأسواقهم وآدابهم. ويؤكد تلميذه "صالح مجدي" في ترجمته له أنه كتب قسما من تاريخ مصر في العصر الإسلامي وصل فيه إلى خلافة المطيع(٢٥).

الواقع إن القول بأولية جرجي زيدان في انتهاج المنهج الغربي يتداعي أمام ما انتهجه رفاعة في الكتابة التاريخية، فرفاعة ينقل عن المراجع القديمة والحديثة، العربية وغير العربية، ولا ينقل عنها دون فهم، بل يخضعها للفحص والنقد، ويقارن ما ينقله عن المراجع الأوربية بأقوال العرب أو اليونان القدامي، فإذا اتفقت على شئ أخذ به، وإذا اختلفت أخذ بالجديد الذي تؤيده الكشوف الأثرية والكتب التاريخية الحديثة. وكان حريصا الحرص كله أن يستبعد دائما ما شاب التاريخ المصري القديم من شوائب الأباطيل والخرافات، مما تمتلئ به كتابات المؤرخين القدماء. وقد شرح رفاعة منهجه هذا في مقدمته، فقال إنه تجنب:

" الأقوال غير الموضوعية مما يظهر بعرضه على ميزان العقل أنه من الخرافات، أو مما تولع به الإخباريون والقصاص من اختراع الأباطيل والخزعبلات، أو مما توهمه أرباب الأوهام الفاسدة من العجائب التخيلية التي بدون فائدة، إذ كثير من كتب السير مشحون بخوارق العادات... فلهذا اكتفيت بذكر جوامع الكلم في هذا التاريخ النافع وبيان ما اشتمل عليه فيما يخص أزمان مصر، مما يتعلق بالمدنية والعسكرية من الوقائع،مع الإعراب عن صيغ المباني والعوامل، ورفع أعلام الفتوحات إلى فواعلها، ونصب معالم الهياكل والإفصاح عما سلف من إبداع الفنون

والصنائع، واختراع وسائل عموم المنافع ووسايط المصانع، مع ما يضاف إلى ذلك من ملاحظات اقتضاها الحال، أو من إيقاظات تربط ما تأخر بما سبق وارتضاها المقال، حيث أوجبها الكلام لدفع المنافاة بين العبارات السابقة واللاحقة أو للجمع بين الأقوال المختلفة لتصحيح التوفيق بينها والمصادقة، فجاء هذا التاريخ بالنسبة لما سواه بشفاء الغليل، لما احتوى عليه من اقتران المدلول بالدليل"[٢٦].

وحتى يمكن الحكم على المنهج الذي شرحه، أو التزمه زيدان في كتابته التاريخية، فإننا سنعرض الوقائع والأحكام كما وردت في تاريخه على ميزان الدقة والضبط. ولعل أول ما يهمنا في ذلك مصادره وطريقته في الاقتباس منها.

لم يذكر المؤلف من المصادر التي استقى منها مادة مخطوطه مصر العثمانية، سوى مصدرين، وردا في ثنايا المتن، وهما: ابن إياس وابن أبي السرور البكري. وقد جاء ذكر ابن إياس مرة واحدة، وذلك عندما نقل عنه الفقرات التي أوضح فيها" كيف كانت مصر لما جاءها السلطان سليم". أما غير ذلك من الاقتباسات من ابن إياس- وهي كثيرة- فلم يذكرها صراحة[٢٧].

أما ابن أبي السرور البكري، فيرد ذكره في موضعين في المتن يذكرهما زيدان بقوله: " قال ابن أبي السرور راوي هذه الحكاية ..." و وقد "روي ابن أبي السرور وهو من المعاصرين..." . أما المصدر الأجنبي الوحيد الذي أورد ذكره، فهو رحلة " فولني" إلى مصر أواخر القرن الثامن عشر.

وبالرجوع إلى " تاريخ مصر الحديث" أورد المؤلف قائمة مصادر تقرب من الأربعين مؤلفا، كان منها: " خطط" المقريزي و" ديوان العبر" لابن خلدون، و" أخبار الأول" للإسحاقي، و" النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي، و" فتوح مصر" لابن عبد الحكم، و" عجائب الآثار" للجبرتي، و" ذخيرة الأعلام" للغمري، و" خطط مصر" لعلي مبارك، و" مصر للمصريين لسليم خليل النقاش. أما المراجع الأجنبية، فمنها " تاريخ مصر الحديث" بالفرنسية لمارسيل، و" تاريخ المماليك إلى وفاة محمد علي" بالإنجليزية لباتون، ودائرة المعارف البريطانية، وغيرها من القواميس الشهيرة[٢٨].

لم يهتم زيدان بالإسناد في تأريخه[٢٩]، المطبوع تاريخ مصر الحديث والمخطوط مصر العثمانية، فلم يسند كثير من الوقائع والتواريخ إلى المصادر التي اعتمد عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

لم يذكر مصدره في أن للأتراك جدا يسمى "ترك" ، ومصدره في ذكر سنة ولادة السلطان سليم الأول سنة ٨٥٩هـ، ومصدره في صفات اسكندر باشا الشركسي الذي خلف سنان باشا أثناء حملته على اليمن سنة ٩٧٦هـ(١٥٦٩م)، ومصدره في عدد اللصوص (عشرة آلاف) الذين قتلوا في ولاية حسين باشا.

استقى زيدان أغلب تاريخ الفترة العثمانية من " ابن إياس" وابن أبي السرور البكري" و" الجبرتي" ، وقد استخدم أسلوبهم تلخيصا وتحويرا بشكل يدعو إلى الدهشة[٣٠]، ويتناقض مع أحكامه في اللغة في العصر العثماني، وبشكل يوحي للقارئ أن الأسلوب من إنشائه. ويمكن ملاحظة ذلك من مقارنة نص لابن إياس والجبرتي، بما كتبه المؤلف بأسلوبه.

- يصف " ابن إياس" دخول السلطان سليم القاهرة، فيقول: " وفي يوم الاثنين، ثالث المحرم أوكب السلطان سليم ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وشق المدينة في موكب حافل وقدامه جنايب كثيرة وعساكر عظيمة ما بين مشاة وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع، واستمر شاقا من المدينة حتى دخل باب زويلة، ثم عرج من تحت الربع وتوجه من هناك إلى بولاق ونزل بالوطاق الذي نصبه تحت الرصيف، فلما شق من المدينة ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة وقيل إن صفته ذري اللهو، حليق الذقن، وافر الأنف، واسع العينين، قصير القامة، في ظهره حنيه، وعلى رأسه عمامة صغيرة، ويلبس قفطانا مخملا، وعنده خفة ورهج، كثير التلفت إذا ركب الفرس..."[٣١].

أما زيدان ، فيصف هذا الحدث في مخطوطه بقوله:

- وفي يوم الاثنين، ثالث المحرم سنة ٩٢٣هـ دخل السلطان سليم القاهرة وبين يديه الخليفة المتوكل، والقضاة، وشق المدينة المتزاحمة بين مشاة وفرسان، حتى ضاقت بهم الشوارع. ومازال سائرا في المدينة حتى دخل من باب زويلة. ثم عرج من تحت الربع، وتوجه من هناك إلى بولاق، ونزل في المعسكر الذي نصبه تحت الرصيف. فلما شق المدينة ارتفعت الأصوات بالدعاء في الناس قاطبة، وقد وصفه أحد المعاصرين الذين شاهدوه في ذلك اليوم[٣٢]، فقال: أنه دري اللون حليق الذقن وافر الأنف، واسع العينين قصير القامة، وعلى رأسه عمامة صغيرة، وفيه خفة وهرج، كثير التلفت إذا ركب[٣٣].

• ولقد أورد الجبرتي ترجمة لعلي بك الكبير وصف فيها مناقبه فقال"كان عظيم الهيبة حتى اتفق لأناس ماتوا فرقا من هيبته وكثيرا من كان يأخذه الرعدة بمجرد المثول بين يديه، فيقول له هون عليك، ويلاطفه حتى ترجع له نفسه، ثم يخاطبه فيما طلبه بصدده وكان صحيح الفراسة شديد الحذق يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرؤها بنفسه كالماء الجاري ولو كان خطها سقيما، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضيها أو يمزقها..."[٣٤].

وجاء وصف زيدان لهذه المناقب على النحو التالي:

ومن مناقب علي بك أنه كان عظيم الهيبة حتى اتفق لأناس أنهم ماتوا خوفا من هيبته، وكانت تأخذ الرعدة بعضهم بمجرد المثول بين يديه، فيأخذ هو بتلطيف رعبه فيقول هو عليك، وكان صحيح الفراسة، شديد الحذق، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهيم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرؤها هو بنفسه ولا يختم ورقة حتى يقرأ ويفهم فحواها[٣٥].

وفيما يتعلق بدقة الضبط والتفسير في كتابة زيدان التاريخية، فإنه من السهل ملاحظة مزجه القصص القديم والأساطير بالتاريخ،ومثال ذلك: رواية زيدان لقصة حب عثمان مؤسس الدولة العثمانية لابنة الشيخ " أدبالي" التي تدعي " مال خاتون"، والحلم الذي رآه وفسر على أنه بشرى بفتح القسطنطينية. فهذه الرواية مستقاة من الحوليات العثمانية القديمة، ولكن زيدان جعل ذلك الحلم أساس تطلع خلفاء عثمان لفتح القسطنطينية، متجاهلا البشارة النبوية بفتحها.

وغرام زيدان بالقصص والحكايات ينعكس على تأريخه، ومن ذلك استطراده في ذكر القصص والحكايات في مشيخة إسماعيل بك بن قاسم عيواظ (١١٢٣-١١٣٦هـ)، ومشيخة عثمان بك (١١٤٣-١١٥٦هـ).

وعدم تحري الدقة والضبط في الحقائق التاريخية لدى زيدان، تتضح في كثير من الوقائع في تاريخه المطبوع تاريخ مصر الحديث والمخطوط مصر العثمانية، ولهذا فسوف نكتفي بهذه الأمثلة:

• ذكر أن الوالي سليمان باشا الخادم تسلم سنة ١٥٣٥م قيادة حملة أعدت لمحاربة الفرس والهند، ولم تكن الحملة إلا لليمن ومحاربة البرتغاليين[٣٦].

• وفي ولاية محمد باشا الصوفي، ذكر أن الصدر الأعظم أرسل سنة ١٠٢٢هـ ١٦٢٣م) حملة من عشرة آلاف جندي إلى اليمن عن طريق مصر، وذلك لإخماد ثورة شعبية فيها، وأمر الباشا بدفع النقود اللازمة لها.

ومراجعة المصادر التاريخية تظهر بوضوح أنها لم تكن حملة عسكرية، وإنما كانوا مائة من جند الحرس السلطاني مع أتباعهم، وقع منهم طغيان فاحش وفساد كبير، فجهزهم الصدر الأعظم إلى مصر، ثم أرسل خطا شريفا بنفيهم إلى اليمن، فثار الجند عندما علموا بذلك وأظهروا العصيان في مصر، ولكنهم أجبروا على الرحيل[٣٧].

• وفي عرضه للصراع بين حزب القاسمية والفقارية، نسب المماليك القاسمية إلى "قاسم عيواظ الدفتردار"، والمماليك الفقارية إلى " ذي الفقاربك الكبير" سنة ١٠٥٠هـ. ولقد خلط المؤلف بين اسم " قاسم بك الدفتر دار" واسم " قاسم بك عيواظ"، فالأول ذكره الجبرتي سنة ١٠٥٠هـ، أما " قاسم عيواظ" فهو الذي قتل إبان ثورة إفرنج أحمد سنة ١٧١١م؛ وكان أميرا للحج [٣٨].

• وفي سرده لتفاصيل مقتل إسماعيل بك بن يواظ" شيخ البلد" في الديوان سنة ١١٣٦هـ (١٧٢٣م)، ذكر أن كل من كان في الديوان من رجال إسماعيل بك قد قتل.ولو تأملنا رواية أحمد شلبي عبد الغني- وكان شاهدا عيانا- نجد أن الذي قتل فقط هو " إسماعيل بك جرجا"، لأنه حاول اللحاق بالقاتل[٣٩].

وسوف يطول بنا المقام لو عرضنا لكثير من الأمثلة التي تظهر بوضوح عدم الدقة والضبط في كتابة زيدان التاريخية [٤٠]، ولهذا فإننا نشير إلى رأي أحد كتاب الغرب في منهجه، حيث يذكر أنه لم يكن عميق التفكير أو ناقدا، وقد لاحظ أن المرة الوحيدة التي مارس فيها زيدان التحليل التاريخي، كانت تلك التي أكد فيها أن محمد على قد اندفع إلى الحرب برغبة في مد ملكه وتأسيس دولة مستقلة[٤١].

ومن المرات التي مارس فيها زيدان التحليل التاريخي في مخطوطه هذا مصر العثمانية، تلك التي ذكر فيها أن العصر العثماني في مصر هو أحط عصور التمدن الإسلامي، وسنده في ذلك أن الآداب العربية على الإجمال قل فيها المستنبط، وأن الإنشاء صار أقرب إلى لغة العامة، وندر نبوغ العلماء المفكرين[٤٢].

ولدى زيدان استعداد يبرز في تفسيره التاريخ المصري على أساس قومي، ومثال ذلك قوله عن المماليك: " ليس لأحد منهم عائلة أو أسرة يغار على وطنه من أجلها إلا نادرا"، مع أن دور المماليك في الدفاع عن مصر في مواقع كثيرة معروف في التاريخ. وكذلك في دفاعه عن على بك الكبير ووصفه محمد بك أبو الذهب بلقب الخائن.

وإذا كان التنظيم " الحولي" للمخطوط بارزا بشكل كبير[٤٣]، فإن إضافة الكاتب بعض الفصول إلى تاريخ مصر العثمانية، قد أعطت للمخطوط بعدا موسعا، ولم تجعله يقتصر على التاريخ السياسي، فاشتمل على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والحضاري، فتحدث عن العلوم الإسلامية في مصر العثمانية وعن الشعراء والأدباء والحياة الاجتماعية والاقتصادية والمسكوكات؛ وهي نقاط خفيت عن الباحثين أولم يهتموا بها في ذلك الوقت.

ورغم أن زيدان امتاز في تقسيمه لتاريخ مصر العثمانية وربط بين التاريخ العثماني حسب سلاطينه، ثم العهد العثماني المصري حسب ولاته، فإنه تطرق إلى أمور كانت استطرادا، مثل حديثه عن نظام الخلافة والسلطنة في الإسلام، وقتل الإخوة في الدولة العثمانية، ونظام الانكشارية.

وإذا كان" تاريخ مصر الحديث" في رأي " جونيور" كان مناسبا للاستعمال في نظام المدارس المصرية[٤٤]، وأنه يمتاز بتخطيط جذاب[٤٥]، فإن مخطوط" مصر العثمانية" كان سيتاح له الفرصة للتدريس في الجامعة المصرية، عندما اختير مؤلفه أستاذا لمادة تاريخ الأمم الإسلامية سنة ١٩١١م، لولا المعارضة الإسلامية القوية[٤٦]، التي نجحت في أبعاده، وتعيين الشيخ محمد الخضري بدلا منه[٤٧].

وإذا كان " تاريخ مصر الحديث" قليل الأهمية في مادته وتوثيقه، ولا يعول عليه في البحث التاريخي[٤٨]، فإن الأهمية التاريخية لمخطوط" مصر العثمانية" تنحصر في كونه مكتوبا بخط المؤلف وأعد ليلقي كمحاضرات في الجامعة المصرية، فلقى تعيين المؤلف معارضة شديدة، وكان السبب عقائديا.

والكتاب المخطوط الوحيد لجرجي زيدان الذي لم ينشر حتى الآن، هو الذي بين أيدينا الآن وهو " تاريخ مصر العثمانية"، والذي قمنا بنشره وتحقيقه وتقديمه للقراء.

وهو يشمل تاريخ مصر العثمانية إلى الحملة الفرنسية، أعده جرجي زيدان ليكون محاضرات تلقى في الجامعة المصرية.

ولا يوجد من هذا المخطوط إلا النسخة الوحيدة بخط جرجي زيدان نفسه وصورتها الفوتوغرافية مودعة في مكتبة جامعة القاهرة.[٤٩]

كتاب تاريخ مصر العثمانية

وقد ألفه جرجي زيدان عام ١٩١١م" لدروس التاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية" وبتعبيره هو في صفحة غلاف المخطوط، وهذا هو هدفه المعلن، لتأليفه هذا الكتاب وقد قسمه كالآتي:

مقدمات تمهيدية، كتبها على فصول ذكر فيها مكانة التاريخ الإسلامي بالنظر إلى سائر التواريخ وحلل فيها معنى لفظ تاريخ ثم أقسام التاريخ العام فأقسام التاريخ الإسلامي ومزايا هذا التاريخ، وكعادته من الاهتمام بالجانب الحضاري تحدث عن تحضر الأتراك فالمغول فالبربر فالزنوج، فتاريخ مصر بالنظر إلى سواه وأقسامه.

موضوع هذا الكتاب، وما كانت عليه مصر عند الفتح العثماني، وبالتالي كان لابد أ، يذكر أصل السلاطين المماليك ودولة المماليك الأولى أو الأتراك البحرية، واختص الملك الظاهر بيبرس بدراسة ثم دولة المماليك الثانية (الجراكسة).

وذكر العلاقات العثمانية المصرية أو بمعنى أصح العثمانية المملوكية، وأفسح مجالات في هذه المقدمات التمهيدية لأصل ونشأة الدولة العثمانية باعتبار أن موضوع الكتاب تاريخ مصر في ارتباطها بهذه الدولة ثم ذكر الانكشارية أصلا وتاريخا لارتباط وضع تاريخ مصر العثمانية في بعض جوانبه بهم، ثم درس سليم الأول باعتباره السلطان العثماني الذي فتح مصر وفي أثناء دراسته لهذا كان لابد أن يقوم أيضا بدراسة عن سلطنة الأشرف طومان باي آخر السلاطين المماليك.

بعد ذلك تنبه جرجي زيدان إلى تاريخ مصر العثمانية فقسمه تقسيما خاصا وكان على أدوار أربعة وكل دور له جانبان السياسي والحضاري.

يمتاز جرجي زيدان في تقسيمه لتاريخ مصر العثمانية، أيضا في ربطه بين استانبول والقاهرة يعني العهد العثماني العام حسب سلاطينه ثم العهد العثماني في مصر، وهو خاص، حسب ولاته.

وتطرق جرجي زيدان إلى أمور رآها ضرورية ورأيناها استطرادا مثل حديثه عن نظام الخلافة والسلطنة في الإسلام وقتل الإخوة في الدولة العثمانية، مما يسر له التعبير عن كثير من أفكاره في تاريخ مصر.

على كل حال قسم جرجي زيدان أدوار تاريخ مصر العثمانية كالآتي:

الدور الأول من سلطنة السلطان سليم الأول وأنهاه بحكم السلطان مصطفى ابن محمد. وبالتالي أحوال مصر في هذا العهد من خلال الولاة العثمانيين فيها. واهتم في ذلك بدراسة المسكوكات والأوضاع الاجتماعية والصحية والاقتصادية وعرج إلى العلم والأدب في عصر الدور الأول من الحكم العثماني في مصر ذاكرا المؤرخين والشعراء والأدباء والمحدثين والفقهاء وعلماء المذاهب الأربعة والمتصوفة وسائر العلماء بمؤلفاتهم.

والدور الثاني من العصر العثماني وهو " انتقال النفوذ في مصر إلى المماليك" بدأه بسلطنة السلطان العثماني أحمد بن محمد ومنتهيا بسلطنة السلطان مصطفى بن محمد، ذاكرا في هذا، العلاقة بين قاسم بك ونو الفقار بك في مصر ثم مشيخة إسماعيل بك ونو الفقار بك وعثمان بك وإبراهيم الكخيا ورضوان بك وعلي بك الكبير.

والدور الثالث من العصر العثماني في مصر، ركز جرجي زيدان الحديث فيه على: علي بك الكبير وتطور تاريخه في مصر وعلاقته بالروس وبظاهر العمر وبمحمد بك أبي الذهب.

والدور الرابع من العصر العثماني في مصر بدأه المؤلف بسلطنة السلطان العثماني عبد الحميد الأول في استانبول ومشيخة إسماعيل بك وإبراهيم بك ومراد بك في مصر مع الحملة العثمانية التي جاءت بقيادة القبطان حسن باشا لحرب المماليك.

وانتهى هذا الدور سياسيا بسلطنة السلطان سليم الثالث وأجل جرجي زيدان الحديث عن المظاهر الحضارية من علم وأدب واجتماع واقتصاد ومالية وتعليم إلى آخر كتابه ضاما هذه الظواهر الحضارية في الأدوار الثلاثة، معا.

الحدود الزمنية للكتاب

ذكر جرجي زيدان في بداية مخطوطه، عنوان هذه المخطوطة على عنوانين: الأول هو مصر العثمانية والآخر تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية، ومن المفيد هنا ذكر عنوان المخطوط بالكامل: مصر العثمانية أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ أو ١٥١٧م إلى الحملة الفرنساوية ١٢١٣هـ أو ١٧٩٨م.

وهذه هي الحدود الزمنية للكتاب، ولا يخفي أن التاريخ العثماني في مصر قد امتد رسميا أكثر من هذا، امتد حتى عام ١٩١٤ وهو تاريخ إعلان الحماية البريطانية على مصر وابتعادها رسميا عن النفوذ العثماني.

بعض نقد الكتاب

أولا: الإيجابيات:

سد جرجي زيدان فجوة في كتابته لتاريخ مصر، بخطه هذا الكتاب. فقد تناول التاريخ تناولا شاملا يدخل في أدبيات التاريخ. إنه الدراسة الواسعة لمفهوم كلمة التاريخ، فلم يقتصر على التاريخ السياسي كدأب بعض كتاب عصره وإنما اشتملت دراسته على التاريخ السياسي والتاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي والتاريخ المالي والتاريخ الحضاري. إن هذه الميزة لجرجي زيدان لا نمتدحها فيه اليوم فقط فقد سبقنا إلى ذلك الكتاب التركي الذائع الصيت المعلم جودت في كتابه ذيل على ابن بطوطة. وكذلك سليمان أولوضاغ في مقدمته لكتاب تاريخ الإسلام لمحمود أسعد استانبول ١٩٨١م.(٥٠)

لقد سد زيدان فراغا في الكتابة التاريخية عن مصر عامة وعن العهد العثماني خاصة، لقد كتب هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن عام ١٩١١م.

وهو رغم قدمه نسبيا وهو ما يدخل في مسمى التراث المعاصر. يتميز بشمولية واضحة ويتفوق على الكتب المؤلفة أو المحققة حديثا عن مصر العثمانية في ذلك، فهو يتحدث عن العلوم الإسلامية في مصر العثمانية وعن الشعراء والأدباء

وعن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وما إلى ذلك وهو نقاط خفيت عن الباحثين المحدثين أو لم يهتموا بها.

ثانيا- السلبيات:

جرجي زيدان جامع معلومات، وصاحب منهج حضاري لكتابة التاريخ، إلا أنه أحيانا لا يدقق في محاكمة الواقع، مثال ذلك عندما يتحدث عن حسن باشا يقول إنه كان يطوف القاهرة ويقتل رجلا أو اثنين يوميا.

كما أن لدى جرجي زيدان استعدادا يبرز دائما في تفسيره التاريخ المصري على أساس قومي مثل قوله عن المماليك: " ليس لأحد منهم عائلة أو أسرة يغار على وطنه من أجلها إلا نادرا. مع أن دور المماليك في الدفاع عن مصر في مواقع كثيرة ماثلة أمام العيان.

ويمزج زيدان في الكتابة التاريخية، القصص القديم والأساطير بالتاريخ مثال ذلك: حديث زيدان عن قصة حب عثمان مؤسس الدولة العثمانية لابنة الشيخ"أدبالي"!!

وهناك بعض الأخطاء النحوية في المخطوطة، وإن كانت هذه لا تدخل في نطاق ما نحن بصدده الآن.

وهناك أيضا بعض التحريفات لبعض الأسماء العثمانية أمثلة على ذلك:

با يازيد- قنسو- كافا....وغيرها وصحتها بيازيد - قانصو- كفه.

وغنى عن البيان هنا أنه استفاد بعض الشئ من كتابه " تاريخ مصر الحديث" عندما أخذ يخط كتابه الذي نقدمه اليوم، ويمكن حصر استفادته في مخطوطه هذا ، من كتابه تاريخ مصر الحديث في مسألة امتيازات السلطان للمماليك، وحادثة قتل والي مصر وتعليق رأسه على باب زويلة عام ٩٣١هـ، وتولية اسكندر باشا ٩٦٨هـ ووفاة الأمير إبراهيم الدفتردار عام ٩٧٤هـ. وقائمة المماليك الثمانية عشر في عهد على بك، وهذا لا ينقد في جرجي زيدان على اعتبار أن سمة التأليف لم تكن تمنع من هذا ومازالت ولم تمنع تفرد مخطوطه هذا في مضمار تاريخ مصر الحضاري في العهد العثماني.

وسنورد هنا مشكلة أساس تأليف كتاب مصر العثمانية، بإيراد رؤية جرجي زيدان فيها.

نص مقال جرجي زيدان

(نحن والجامعة المصرية والتاريخ الإسلامي)

أفاضت الجرائد في ذكر الجامعة المصرية وصاحب الهلال على أثر عدولها عن تعيينه أستاذا للتاريخ الإسلامي فيها. واختلفت الأقوال والآراء في هـذا الشأن فرأينا أن نقول كلمة تقريرا للحقيقة ودفعا للالتباس وإجابة على الأسئلة التي أتتنا بهذا الشأن.

لا خلاف في أننا أول من دعا إلى إنشاء الجامعة المصرية بمقالات نشرناها في أماكن كثيرة من الهلال منذ بضع عشرة سنة. فنحن أكثر غيرة عليها وأشدهم رغبة في نجاحها. فلما أنشئت فرحنا بذلك ونظرنا في أمرها بعين الاهتمام ورأينا في بروغرامها نقصا فانتقدنا خطة التدريس وقلة العلوم المقررة فيه فاهتم مجلس إدارتها بملاحظاتنا وقرر إضافة كثير من العلوم التي ذكرنا حاجة البلاد إليها وأرسل نخبة من الشبان الأذكياء لتلقي تلك العلوم في أوربا ليعودوا ويعلموها هنا. فسرنا أن يكون ولاة أمر هذا المعهد العلمي منزهين عن كل عرقية غير خدمة الأمة المصرية.

ونحن في ذلك فاجأتنا الجامعة بكتاب مؤرخ في ١٦يونيوسنة١٩١٠م تطلب إلينا فيه تدريس تاريخ الأمم الإسلامية فيها هذا نصه:

من الجامعة المصرية في ١٦يونيو سنة ١٩١٠ نمرة ٣٠٢

" حضرة المحترم جرجي أفندي زيدان

" أتشرف بإحاطة حضرتكم علما أن مجلس إدارة الجامعة المصرية قرر إنشاء كلية آداب تبتدئ الدراسة بها في العام القادم وأن يكون من جملة العلوم التي تدرس فيها تاريخ الأمم الإسلامية وخصوصا مصر الإسلامية. وقرر منح الأستاذ الذي يسند إليه تدريس هذا العلم راتبا قدره ٢٠٠جنيه مصري على أن يلقى فيه أربعين درسا على الأقل في مدة السنة الدراسية التي تبتدئ في شهر نوفمبر وتنتهي في ١٥مايو.

" وحيث إننا نرى أن حضرتكم خير كفء لتدريس هذه المادة لما نعهد فيكم من سعة الاطلاع والدراية التامة نود لو كنتم تقبلون القيام بهذه المأمورية لما فيها من المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة أبناء هذا الوطن. فأرجوكم إفادتنا عما إذا كنتم تقبلونها بالشروط المذكورة وتفضلوا بقبول فائق احترامنا.

رئيس الجامعة المصرية بالنيابة

إبراهيم نجيب محافظ مصر

وصلنا هذا الكتاب ونحن غارقون في أشغالنا وهي على معظمها في ذلك الشهر(يونيو) والذي يليه لأننا ننشغل فيهما بإصدار ملحق الهلال كل سنة. وكنا أكثر شغلا في هذه السنة عما في سواها لأن موضوع الملحق الذي علينا إصداره (تاريخ آداب اللغة العربية) من المواضيع التي تفتقر إلى بحث وتنقيب. فلما جاءنا كتاب الجامعة وقعنا في حيرة وكان أول خاطر بدا لنا، أن نعتذر بكثرة أشغالنا. لكننا أعدنا النظر في ذلك الذي وقفنا له حياتنا وقولنا. فترددنا لحظة خطر لنا في أثنائها ما قد يعتور يقيننا من القيل والقال لاختيارنا لهذا المنصب مع وجود من يقوم به من المسلمين وإن دلنا التاريخ على خلاف ذلك. فإن الخلفاء في صدر الدولة العباسية لم يستنكفوا من أن يستخدموا في نقل العلم تراجمة من غير المسلمين وفيهم النصراني واليهودي والسامري والمجوسي والصابئ. وكذلك كان يفعل المسيحيون حتى في علوم الدين نفسه. فإن أبا الفتح كمال الدين موسى ابن أبي الفضل الفقيه الشافعي أحد أعلام المسلمين في القرن السادس للهجرة كان متضلعا بالعلوم الدينية المسيحية واليهودية. وكان أهل الذمة من المسيحيين واليهود يقرأون عليه التوراة والإنجيل ولا يرون في ذلك غرابة . وقد شرح لهما ذينك الكتابين شرحا اعترفوا أنهم لم يجدوا من أوضحهما مثله.

لكننا علمنا من قرائن كثيرة أن حالنا غير حالهم. فرأينا أن نعرض هذه الملاحظة على ولاة أمر الجامعة فيكون لنا بذلك عذر على الاقتناع فنتفرغ لعملنا. وقد فعلنا فأجابونا أنهم لا يرون بأسا في أن يكون أستاذ هذا التاريخ مسيحيا ولا يظنون ذلك يسوء أحدا لأن المطلوب تعليم تاريخ الأمم الإسلامية لا الدين الإسلامي وصاحب الهلال معروف باعتداله وإنصافه ولا حاجة طبعا إلى الخوض في المسائل الدينية.

فلم يعد يمكننا الامتناع ولو امتنعنا لحسب ذلك علينا – لأننا نزعم أننا نخدم الوطن واللغة وننتقد الجامعة ونطلب زيادة دروسها ثم يطلب منا أن نخدمها بدرس هو من خصائصنا ونأبى! فقبلنا على أن نتحاشى الخوض في غير التاريخ السياسي، وكتبنا إلى مجلس إدارة الجامعة ما يأتي:

" من إدارة الهلال في ١٨ يونيو سنة ١٩١٠

" سيدي المفضال سعادة إبراهيم باشا نجيب رئيس الجامعة المصرية بالنيابة

" تشرفت بكتاب سعادتكم المؤرخ في ١٦ يونيو الجاري الذي تخبروننى فيه أن مجلس إدارة الجامعة قد اختار هذا العاجز لتدريس تاريخ الأمم الإسلامية وخصوصا مصر الإسلامية في كلية الآداب التي أنشأتموها في الجامعة المذكورة وسألتموني إذا كنت أقبل القيام بهذه المهمة على الشروط المذكورة في الكتاب المشار إليه. فأثنى على فضلكم لأنكم ظننتم بي الكفاءة للقيام بهذا العمل الجليل. وبما أن القبول يعد من قبيل المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة أبناء الوطن كما ذكرتم فإني أقبل اقتراح سعادتكم بكل سرور على الشروط المشار إليها وسأبذل ما في الوسع لأحقق ظنكم في. واقبلوا فائق الاحترام،

جرجي زيدان

وحالما دفعنا هذا الجواب إلى الجامعة شعرنا بوطأة هذا العمل الشاق. لكننا على عادتنا في كل عمل نأخذ به، وجهنا اهتمامنا إلى هذا الدرس. فأخذنا في إعداد الخرائط اللازمة له على أن نرسمها نحن. فساعد ذلك على تأجيل صدور ملحق الهلال إلى هذا الشتاء. وهي أول مرة أخرناه فيها منذ أنشأنا الهلال ولكننا اغتفرنا ذلك في سبيل مصلحة الجامعة المصرية.

فأخذنا في عمل الخرائط وهي خمس كبيرة تعلق بالحائط: الأولى خريطة جزيرة العرب قبل الإسلام. والثانية خريطة الحجاز وتهامة في أثناء الغزوات. والثالثة خريطة صـ ١٧٩ العراق والأهواز وضواحي بغداد وسامرا في أوائل الدولة العباسية. والرابعة خريطة المملكة الإسلامية في القرن الثالث للهجرة. والخامسة خريطة مكة المشرفة وما يحيط بها.

اشتغلنا في إعداد هذه الخرائط في الصيف الماضي على يد مصلحة المساحة بالقاهرة ولم تفرغ منها إلا في منتصف نوفمبر. وهي الآن في إدارة الجامعة. ولما رجعنا من لبنان في سبتمبر الماضي جاءنا كتاب من الجامعة طلب إلينا فيه وضع بروغرام الدروس. فوضعناه مفصلا في عدة صفحات وأخذنا في تحضير المواد اللازمة لها. فاضطررنا إلى تأجيل ملحق الهلال للمرة الثانية لأننا لم نكن قد ذكرنا

خبر تعييننا في الجامعة تحاشيا من تقريظ نفسنا ولأن هذا السبب لا يهم القراء. وإنما ذكرناه الآن لتقرير الحقيقة كما تقدم.

وتناقلت الصحف العربية خبر تعييننا لهذا المنصب فاتخذه الناس دليلا حسنا على التساهل الديني. ثم نشرت الجامعة بروغرام التدريس في الصحف وأخذنا نحن في كتابة المحاضرات. وترى خلاصة المحاضرة الأولى منشورة في هذا الهلال.

ونحن في ذلك قرأنا في المؤيد أن مجلس إدارة الجامعة تناقش في هل يجوز أن يتولى تدريس التاريخ الإسلامي أستاذ مسيحي وأن الأكثرية قررت أنه لا يليق أن يتولى تدريسه إلا أستاذ مسلم يبدل من صاحب الهلال فاستغربنا الخبر لأنه لم يصلنا من مصدره.

وفي اليوم التالي جاءنا وفد من مجلس إدارة الجامعة بسط لنا الحقيقة وهي ما قرأناه وأن الجامعة عمدت إلى تعديل قرارها الأول مراعاة لعواطف الأمة. فلم نجد في ذلك غرابة لأننا نبهنا إليه منذ خمسة أشهر. ولكننا تأسفنا لشيوع ذلك الخبر على صفحات الجرائد قبل مخابرتنا فأدى إلى انتقاد أفاضل يبذلون أقصى جهدهم في خدمة هذه الأمة. ولو شعرنا بأقل خلاف جرى في الجامعة بشأن تعييننا لكفيناها مؤونة المناقشة على أهون سبيل وخففنا عنا عناء اللوم. وفي كل حال فإننا تلقينا عذرها بالقبول ووافقناها تعيين من تشاء. ورجعنا إلى عملنا، وضميرنا في راحة وطمأنينة. ونشعر أننا قمنا بما علينا، وندعو للجامعة المصرية بالنجاح والسداد، لأن بنجاحها سعادة الأمة المصرية وحياة اللغة العربية.

هذا ويعجز القلم عن أداء واجب الشكر لزملائنا أصحاب الصحف العربية والأمريكية وغيرهم من أرباب الأقلام الذين خاضوا عباب هذه المسألة على اختلاف آرائهم وأحكامهم فيها فإنهم قد أحسنوا إلينا بإحسانهم الظن فينا فوق ما نستحق جزاء الله خيرا.[٥١] مجلة الهلال: ج٣، السنة ١٩أول ديسمبر ١٩١٠م-٢٩ذو القعدة ١٣٢٨هـ.

مؤلفات جرجي زيدان مرتبة تاريخيا

١- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية(١٨٨٦م).

٢- تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن مع فذلكة في تاريخ مصر القديم، ٢ج (١٨٩٩م)

٣- تاريخ الماسونية العام (١٨٨٩م)

٤- التاريخ العام منذ الخليقة إلى هذه الأيام -ج١ (١٨٩٠م)

٥- مختصر جغرافية مصر (١٨٩١م)

٦- المملوك الشارد- رواية (١٨٩١م)

٧- رد رنان على نبش الهذيان (١٨٩٣م)

٨- استبداد المماليك - رواية (١٨٩٣م)

٩- جهاد المحبين - رواية (١٨٩٣م)

١٠- أسير المتمهدي- رواية (١٨٩٣م)

١١- أرمانوسة المصرية - رواية (١٨٩٥م)

١٢- خلاصة تاريخ اليونان والرومان (١٨٩٧م)

١٣- عذراء قريش - رواية (١٨٩٨م)

١٤- تاريخ انجلترا منذ نشأتها إلى هذه الأيام (١٨٩٩م)

١٥- فتاة غسان -رواية (١٨٩٩م)

١٦- ١٧رمضان - رواية (١٨٩٩م)

١٧- علم الفراسة الحديث (١٩٠١م)

١٨- غادة كربلاء - رواية (١٩٠١م)

١٩- تاريخ التمدن الإسلامي - مج ١ (١٩٠٢م)

٢٠- الحجاج بن يوسف - رواية (١٩٠٢م)

٢١- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج١ (١٩٠٢)

٢٢- تاريخ التمدن الإسلامي - مج٢ (١٩٠٣م)

٢٣- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ج٢ (١٩٠٣م)

٢٤- تاريخ التمدن الإسلامي- مج ٣ (١٩٠٤م)

٢٥- تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حي تام خاضع لناموس الارتقاء (١٩٠٤م)

٢٦- فتح الأندلس - رواية (١٩٠٤م)

٢٧- شارل وعبد الرحمن - رواية (١٩٠٤)
٢٨- تاريخ التمدن الإسلامي -مج ٤ (١٩٠٥م)
٢٩- أبو مسلم الخراساني - رواية (١٩٠٥م)
٣٠- تاريخ التمدن الإسلامي- مج ٥ (١٩٠٦م)
٣١- أنساب العرب القدماء (١٩٠٦م)
٣٢- العباسة أخت الرشيد - رواية (١٩٠٦م)
٣٣- الأمين والمأمون - رواية (١٩٠٧م)
٣٤- محمد على - رواية (١٩٠٧م)
٣٥- العرب قبل الإسلام - ج١ (١٩٠٨م)
٣٦- عروس فرغانة- رواية (١٩٠٨م)
٣٧- عبد الرحمن الناصر - رواية (١٩٠٩م)
٣٨- أحمد بن طولون- رواية (١٩٠٩م)
٣٩- تاريخ آداب اللغة العربية - ج١ (١٩١١م)
٤٠- الانقلاب العثماني - رواية (١٩١١)
٤١- مصر العثمانية ؛ أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م إلى الحملة الفرنسية ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م
٤٢- تاريخ آداب اللغة العربية - ج٢ (١٩١٢م)
٤٣- طبقات الأمم أو السلالات البشرية (١٩١٢م)
٤٤- عجائب الخلق (١٩١٢م)
٤٥- فتاة القيروان- رواية (١٩١٢م)
٤٦- تاريخ آداب اللغة العربية - ج٣ (١٩١٣م)
٤٧- صلاح الدين ومكايد الحشاشين- رواية (١٩١٣م)
٤٨- تاريخ آداب اللغة العربية - ج٤ (١٩١٤م)
٤٩- شجرة الدر - رواية (١٩١٤م).
٥٠- البلغة في أصول اللغة - غير موجود( )
٥١- مختارات جرجي زيدان (١٩١٩م)
٥٢- رحلة جرجي زيدان إلى أوربا سنة ١٩١٢م (١٩٢٣م)

حواشي المقدمة

(١) محمد عبد الغني حسن، جرجي زيدان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة١٩٧٠، ص ٢٠. ويعتبر البعض أن الأستاذ محمد عبد الغني حسن- رحمه الله - مؤرخ جرجي زيدان.

(٢) محمد عبد الغني حسن، المرجع السابق، ص ٢١.ونظير عبود، جرجي زيدان، المجلد ٢١ من مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، دار الجيل، بيروت ١٩٨٣، ص ١٧.

(٣) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص ٢١.

(٤) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق،ص٢٣.

(٥) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق،ص ٢٩، ونظير عبود ، مرجع سابق، ص ٢١.

(٦) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص ٣٦ وشوقي خليل، جرجي زيدان في الميزان، وجرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث، طبعة بيروت عام١٩٨٣، جـ٢ ص ٦٩١

(٧) جرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث جـ٢ مرجع سابق ص ٦٦٥و ٧٠١و ٧٠٢.

(٨) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٩

(١٠) نظير عبود، مرجع سابق، ص ٢٣

(١١) عبد الغني حسن ٣٩

(١٢) عبد الغني حسن ٤٠

(١٣) MUHARREM GELEBI,CORCI ZEYDAN.D.V.IA.C.12, S,69-70 ISTANBUL 1995

(١٤) معلم جودت أيناتج آلب، ذيل على فصل الأخية الفتيان التركية " في رحلة ابن بطوطه، استانبول ١٣٥٠هـ - ١٩٧١،ص٥.

(١٥) جورجي زيدان : تاريخ مصر الحديث، الجزء الأول ، القاهرة ، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٣٠٦هـ- ١٨٨٩م، ص ٤.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٨٥،٨٦.

(١٧) جورجي زيدان : تاريخ مصر الحديث، ج١،ص٨٦.

(١٨) ولعله من المهم ان نشير أن سن زيدان في ذلك الوقت كان ٢٨سنة، وإذا كان في كتابه " رد رنان على نبش الهذيان" - الذي رد فيه على كتاب " نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان" للشيخ حسن حلواني مدني- قد ذكر انه درس " تاريخ مصر " وألفه وطبعه في مدة لا تزيد على سنتين، فإن هذا يعني أن عمره كان ٢٦سنة عندما شرع فيه ، ولم يسبق له أن عالج الكتابة التاريخية. جرجي زيدان: رد رنان على نبش الهذيان، القاهرة ، مطبعة التأليف، ١٨٩١م، ص ٧،٨.

(١٩) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٢م، ص٦.

(٢٠) محرم جلبي، مرجع سبق ذكره، ص ٦٩-٧٠.

(٢١) جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة ، مكتبة النهضة، ١٩٥٨م، ص ١٠-٢٧.

(٢٢) جاك كرابس جونيور: كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر ترجمة عبد الوهاب بكر سلسلة الألف كتاب الثاني- ١١٨،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص٧٤.

(٢٣) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق ، ص ٩٩- ١١٤.

(٢٤) جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ٧٠-٧٢.

(٢٥) جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ٧٦،٨٣.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٧٦-٨٧.

(٢٧) وقد أسندنا في تحقيق المخطوط ما نقله المؤلف لابن إياس.

(٢٨) جرجي زيدان: تاريخ مصر الحديث، ج١،ص ٨٧،٨٨. ويرى جاك كرابس جونيور أن هذه المادة ليست كافية للمشروع الذي كان في ذهن زيدان، وحيث أنه لم يلمح أبدا لمصادره ولم يقدم حواشي لمتونه، فإننا نبقى متروكين للحيرة حول المراجع التي استخدمها. جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٢٩) يشير جاك جونيور إلى أن كل المؤرخين المصريين بعد الطهطاوي كانوا أكثر استيقاظا في الضمير فيما يتعلق بالإشارة إلى مصدر معلوماتهم، وأنه كان ينبغي على زيدان أكثر من أي من سابقيه أن يكون مدركا لالتزامه في الاستشهاد بالمصادر حتى لا يصبح عمله مشكوكا فيه كثيرا. جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٣٠) ومصدر الدهشة والتناقض أن المؤلف يستخدم أسلوب هؤلاء المؤرخين ومفرداتهم في أسلوبه، ويذكر بعد ذلك في نهاية مخطوطه أن الإنشاء في اللغة في العصر العثماني، انحط إلى أقصى درجاته، حتى صار أقرب إلى لغة العامة، ويضرب المثل لذلك بتاريخ" ابن إياس" و" الجبرتي".

(٣١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الخامس تحقيق محمد مصطفى، ط٣، القاهرة، ١٩٨٤،ص ١٥٠.

(٣٢) قصد زيدان" ابن إياس" ، ولكن " ابن إياس" كما رأينا في نصه لم يذكر، أنه رأي السلطان سليم، وإنما نقل صفاته سماعا.

(٣٣) انظر المتن في المخطوط.

(٣٤) الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الأول، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٩٨٦، ص ٥٠١.

(٣٥) انظر المتن في المخطوط.

(٣٦) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج٢،القاهرة، المطبعة الأميرية ، ١٣١٤هـ،ص ١٩٥.

(٣٧) أحمد شلبي عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص ١٦٤،١٦٥.

(٣٨) الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص ٣١-٣٤؛على بن محمد الشاذلي الفرا: ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة القاهرة (١١٢٣-١٧١١م)، تحقيق عبد القادر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، مج ١٤،١٩٦٨م، ص ٣١٩-٤٠١.

(٣٩) أحمد شلبي عبد الغني: المصدر السابق، ص ٣٨٣-٣٨٦.

(٤٠) ولعل هذا يفسر لنا النقد العنيف الذي وجهه محمد حسين هيكل إلى زيدان كمؤرخ سنة ١٩١٢، وذلك في نقده لكتاب تاريخ آداب اللغة العربية: " زيدان كان أحرى الناس- على سعة معارفه التاريخية- بأن يختط هذه الطريقة ويرمي لهذا الغرض. وأول المطلوب من المؤرخ الذي يرمي لهذا الغرض أن يتحري في التاريخ الذي يكتب كل دقيقة وجليلة، وأن يفسر الحوادث بالدقة والضبط. وقد رأينا أن صاحب تاريخ آداب العرب لم يقم بذلك على الوجه الأكمل ". انظر النقد الذي وجهه هيكل لجرجي زيدان في : محمد حسين هيكل: في أوقات الفراغ ، القاهرة ، المطبعة المصرية، د.ت، ص ٢٢١-٢٤٧. وقد حاول محمد عبد الغني حسن- الذي يصف زيدان بالدقة والضبط والحيدة المطلقة في كتابة التاريخ- حاول تبرير نقد هيكل العنيف، فذكر أنه كان متأثرا بالحملات التي شنها خصوم زيدان ، سلسلة أعلام العرب- ٩٠،القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م،ص ٧٥.

(٤١) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦١. وقد لاحظ جونيور أن زيدان عاش حياة حذرة فيما يتعلق بالسياسة، وأحجم عن كل ذكر للسياسة أو رجال الدولة الأحياء في مجلة الهلال، وقد انعكس ذلك في تاريخه، وضرب مثالا لذلك وصف زيدان للحرب السورية خلال عهد محمد على بالتفصيل مع تجاهل الأسباب والنتائج والدوافع، وكذلك العرض الذي قدمه للاحتلال الإنجليزي لمصر في ختام تاريخه.

(٤٢) كرر زيدان هذا الحكم كذلك في كتابه : تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، القاهرة ، مطبعة الهلال، ١٩١٣م، ص ٢٧٢. وقد تصدى لهذا الحكم كاتب من كتاب سيرته، فذكر أن هذا الحكم لا يكفي على عصر استمر عدة قرون، وكان على زيدان أن يتناول نصوصا من العصر العثماني ويبين ما فيها من تفاهة، ولكنه لم يفعل، مما يجعل حكمه موضع استفهام، وأيد الكاتب رأيه بدراسة قدمها محمد سيد كيلاني عن " الأدب المصري في ظل الحكم العثماني" ، أظهرت بوضوح أن في هذا العصر مدارس أدبية. انظر بتفصيل: أحمد حسين الطماوي: جرجي زيدان سلسلة نقاد الأدب - ١١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

(٤٣) انظر نموذجا لاستخدام التواريخ بكثرة في بدايات الفقرات عند ذكر ولاة مصر في زمن السلطان سليمان القانوني: " وفي سنة ٩٤١..."، " وفي سنة ٩٤٥هـ..."، " وفي سنة ٩٦١هـ..." ، " وفي سنة ٩٦٨..." " ثم في سنة ٩٧١هـ..."، " وفي شوال سنة ٩٧٣..." ، " وفي ٣ رجب سنة ٩٧٤هـ...".

(٤٤) ويبدو أن هذا ما كان يطمح إليه زيدان عند تأليفه، فقد أشار إلى ذلك في فاتحة كتابه بقوله: " لم أر بين مدارس هذا القطر السعيد من أميرية وغير أميرية مدرسة تعتني بتدريس هذا التاريخ الذي هو تاريخ بلادها، لعل السبب في ذلك عدم وجود الكتب الموضوعة على أسلوب مناسب".

(٤٥) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(٤٦) عن اختيار زيدان للتدريس في الجامعة المصرية والمعارضة القومية لذلك، انظر مقالته: نحن والجامعة المصرية، مجلة الهلال، الجزء الثالث، السنة ١٩، أول ديسمبر ١٩١٠م- ٢٩ من ذي القعدة ١٣٢٨هـ، ص ١٧٧-١٨١.

(٤٧) أمين سامي : التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤و١٩١٥ ، القاهرة ، مطبعة المعارف، ١٣٣٥هـ- ١٩١٧م، القسم الثالث من الملحقات، ص ٥٤-٥٥.

(٤٨) يؤيد هذا قلة اعتماد الباحثين عليه كمرجع موثق في التاريخ المصري الحديث. وعلى العكس تماما، المؤرخ السوري سليم خليل النقاش (المتوفى سنة ١٨٨٤م) في موسوعته التاريخية " مصر للمصريين" التي صدرت في ٦ مجلدات (من الرابع إلى التاسع)، فقد كان توثيقه شاملا ومتقنا بصورة كبيرة، مما جعل عمله مرجعا لا غنى عنه للمؤرخ السياسي وطالب التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. انظر: جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٤، جاك جونيور: المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٧.

(٤٩) جرجي زيدان، مصر العثمانية أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية، مخطوط بخط المؤلف، صورة فوتوغرافية، مكتبة جامعة القاهرة، مخطوط رقم ٧٥ب ٣٠٠٢.

(٥٠) معلم جودت (إيناتج آلب) ذيل على فصل " الأخية الفتيان التركية" في رحلة ابن بطوطة، ص ٥، استانبول ١٣٥٠هـ-١٩٣٢م.

(٥١) جرجي زيدان، نحن والجامعة المصرية، مصدر سبق ذكره. نفس الصفحات.

•••